النوع الستون

في فواتح السُّوَر

أفردها بالتأليف ابن أبي الإصبع في كتاب سمَّاه «**الخواطر السوانح في أسرار الفواتح**».

وأنا ألخِّص هنا ما ذكره مع زوائد من غيره.

اعلم أن الله افتتح سور القرآن بعشرة أنواع من الكلام، لا يخرج شيء من السور عنها:

الأول: الثَّناء عليه تعالى، والثناء قسمان: إثبات لصفات المدح، ونفيٌ وتنزيه من صفات النقص، فالأوَّلُ التحميد في خمس سور، وتبارك في سورتين، والثاني التسبيح في سبع سور.

قال الكَرْماني في «**متشابه القرآن**»[1]: التسبيح كلمة استأثر الله بها، فبدأ بالمصدر في بني إسرائيل؛ لأنه الأصل، ثم بالماضي في الحديد والحشر، لأنه أسبق الزمانين، ثم بالمضارع في الجمعة والتغابن، ثم بالأمر في الأعلى؛ استيعاباً لهذه الكلمة من جميع جهاتها.

الثاني: حروف التهجِّي في تسع وعشرين سورة، وقد مضى الكلام عليها مستوعباً في نوع المتشابه، ويأتي الإلمام بمناسباتها في نوع المناسبات.

الثالث: النِّداء في عشر سور: خمس بنداء الرسول ﷺ: الأحزاب، والطلاق، والتحريم، والمزَّمِّل، والمدَّثر. وخمس بنداء الأمّة: النساء، والمائدة، والحج، والحجرات، والممتحنة.

الرابع: الجمل الخبرية، نحو: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ [الأنفال]. ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة]. ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل]. ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء]. ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون]. ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا﴾ [النور]. ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [السجدة]. ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [محمد]. ﴿إِنَّا فَتَحْنَا﴾ [الفتح]. ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر]. ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ﴾ [الرحمن]. ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ [المجادلة]. ﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾. ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ [المعارج]. ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ [نوح]. ﴿لَآ أُقْسِمُ﴾ في موضعين [القيامة، البلد]. ﴿عَبَسَ﴾ [عبس]. ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [القدر]. ﴿لَمْ يَكُنِ﴾ [البينة]. ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾. ﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾ [التكاثر]. ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ﴾ [الكوثر]. فتلك ثلاث وعشرون سورة.

الخامس: القسَم في خمس عشرة سورة:

سورة أقسم فيها بالملائكة، وهي: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾.

وسورتان بالأفلاك: البروج والطارق.

وستّ سور بلوازمها: فالنجم أقسم بالثريّا، والفجر بمبدأ النهار، والشمس بآية النهار، واللَّيل بشطر الزمان، والضحى بشَطْر النهار، والعصر بالشَّطر الآخر أو بجملة الزمان.

---

(١) «البرهان في متشابه القرآن» محمود بن حمزة الكرماني ص٣٤١، أول سورة الحديد.

وسورتان بالهواء الذي هو أحد العناصر، والذَّاريات، والمرسلات.

وسورة بالتربة التي هي منها أيضاً، وهي: الطور.

وسورة بالنبات وهي: ﴿وَٱلتِّينِ﴾.

وسورة بالحيوان الناطق وهي: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾.

وسورة بالبهيم وهي: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾.

السادس: الشَّرْط في سبع سور: الواقعة، والمنافقون، والتكوير، والانفطار، والانشقاق، والزلزلة، والنَّصر.

السابع: الأمر في ست سور: ﴿قُلْ أُوحِيَ﴾، ﴿ٱقْرَأْ﴾، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾ المعوذتين.

الثامن: الاستفهام في ستّ سور: ﴿هَلْ أَتَىٰ﴾، ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾. ﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾، ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾، ﴿أَلَمْ تَرَ﴾، ﴿أَرَءَيْتَ﴾.

التاسع: الدُّعاء في ثلاث: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾. ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾. ﴿تَبَّتْ﴾.

العاشر: التعليل في: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾.

هكذا جمع أبو شامة[1]، قال: وما ذكرناه في الدعاء يجوز أن يذكر مع الخبر، وكذا الثناء كله خبر إلَّا ﴿سَبِّحِ﴾، فإنَّه يدخل في قسم الأمر،

و(سبحان) يحتمل الأمر والخبر. ثم نظم ذلك في بيتين فقال:

أثني على نفسه سبحانه بثبو ... تِ الحمد والسلب لما استفتح السُّوَرَا

والأمر شرط الندا والتعليل والقسم الدُّ ... عا حروف التَّهجِّي استفهم الخبرا

وقال أهل البيان: من البلاغة **حسن الابتداء**؛ وهو أن يتأنَّق في أوَّل الكلام، لأنه أول ما يقرع السمع، فإن كان محرراً أقبل السامع على الكلام ووعاه، وإلَّا أعرض عنه ولو كان الباقي في نهاية الحسن، فينبغي أن يؤتَى فيه بأعذب اللفظ وأجزله وأرقّه وأسلسه وأحسنه نظماً وسبكاً، وأصحّه معنىً، وأوضحه وأخلاه من التعقيد، والتقديم والتأخير الملبِس، أو الذي لا يناسب.

قالوا: وقد أتت جميع فواتح السور على أحسن الوجوه وأبلغِها وأكملِها، كالتحميدات وحروف الهجاء والنداء، وغير ذلك.

ومن الابتداء الحسن نوع أخصّ منه يسمَّى: **براعة الاستهلال**، وهو: أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلَّم فيه، ويشير إلى ما سيق الكلام لأجله، والعَلَمُ الأسنى في ذلك سورة الفاتحة، التي هي مطلع القرآن، فإنَّها مشتملة على جميع مقاصده، كما قال البيهقيّ في «**شعب الإيمان**» [٢٣٧١]:

---

(١) أبو شامة: عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقي، أبو القاسم، مؤرخ، محدث (ت: ٦٦٥هـ). «فوات الوفيات» ١/ ٢٥٢.

أخبرنا أبو القاسم بن حبيب، أنبأنا محمد بن صالح بن هانئ، أنبأنا الحسين بن الفضل، حدثنا عفان بن مسلم، عن الربيع بن صُبيح، عن الحسن قال: أنزل الله مئةً وأربعة كتب، أودَعَ علومها أربعة منها: التوراة، والإنجيل، والزَّبور، والفُرقان. ثم أودع علوم التَّوراة والإنجيل والزبور والفرقان القرآن، ثم أودع علوم القرآن المفصَّل، ثم أودع علوم المفصَّل فاتحة الكتاب، فمن علِمَ تفسيرَها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزَّلة.

وقد وُجّه ذلك: بأن العلوم التي احتوى عليها القرآنُ وقامت بها الأديانُ أربعةٌ:

علم الأصول: ومداره على معرفة الله وصفاته، وإليه الإشارة بـ ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ومعرفة النبوَّات، وإليه الإشارة بـ ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، ومعرفة المعاد، وإليه الإشارة بـ ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾.

وعلم العبادات: وإليه الإشارة بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

وعلم السلوك: وهو حمل النفس على الآداب الشرعية والانقياد لرب البريّة، وإليه الإشارة بـ ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾.

وعلم القصص: وهو الاطلاع على أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية؛ ليعلم المطَّلع على ذلك سعادة من أطاع الله وشقاوة من عصاه، وإليه الإشارة بقوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.

فنبَّه في الفاتحة على جميع مقاصد القرآن؛ وهذا هو الغاية في **براعة الاستهلال**، مع ما اشتملت عليه من الألفاظ الحسنَة، والمقاطع المستحسنة، وأنواع البلاغة.

وكذلك أوَّل سورة ﴿ٱقْرَأْ﴾؛ فإنَّها مشتملة على نظير ما اشتملت عليه الفاتحة من براعة الاستهلال، لكونها أوَّلَ ما أنزل من القرآن: فإن فيها الأمر بالقراءة والبداءةَ فيها باسم الله، وفيها الإشارة إلى علمِ الأحكام. وفيها ما يتعلق بتوحيد الربّ وإثبات ذاته وصفاته من صفة ذات وصفة فعل، وفي هذه الإشارة إلى أصول الدين. وفيها ما يتعلق بالإخبار من قوله: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥]؛ ولهذا قيل: إنها جديرة أن تسمَّى: **عنوان القرآن**، لأن عنوان الكتاب يَجمَع مقاصدَه بعبارة وجيزة في أوله.